من فيينا.. «ساكن» يتكلم والخرطوم تسمع![1]

حوار- محمد نجيب[2]

عبد العزيز بركة ساكن -أحد أشهر الأسماء الجديدة في كتابة الرواية، أعماله التي رفضت من قبل المصنفات الأدبية والفنية بالسودان نشرت كلها خارجه، وترجمت إلى العديد من اللغات (الجنقو، مسيح دارفور، الخندريس) وخلافها.. هنالك من يرون أنه كاتب مبدع، وهنالك من يرون أن رواياته مجرد منفستو سياسي.. وأنه استثمر حادثة المنع الرقابي لخلق ضجة إعلامية. ورغم كل الاختلاف يبقى بركة ساكن في المشهد الإبداعي يؤسس لمشروعه وفق قناعاته ورؤاه.. جلست إليه على مدى أكثر من جلسة.. هو في فينا، وأنا في الخرطوم في محاولة للوصول إلى بعض عوالمه وأفكاره لـ(حوش الزول).

- بركة ساكن بدءً.. دعني أسألك عن الخطوات الأولى في عالم الكتابة؟

البداية كانت محاولات، لا يمكن عنونتها الآن، أو وضع إطار فلسفي لها،

(1) نشر الحوار بصحيفة الوطن القطرية بتاريخ 5 سبتمبر 2013.
(2) شاعر وصحفي سوداني.

لأنها لم تكن عن قصد، أو كنت أعيها فعلاً، كانت مغامرات طفل صغير اكتشف متعة القراءة، وسحرته نصوص وحكايات، وبدأ يعمل على خلق أشكال تخصه من المتعة، ربما كنت أكتب لأرى تأثير ذلك على وجه أختي (محاسن)، كانت هي قارئي الوحيد وناقدي الوحيد أيضاً.

- متى كان ذلك، وهل من دوافع جعلتك تبحث عن طعم الحبر؟

بدأت ذلك ربما في الثالثة عشرة من عمري، أو أقل أو أكثر، ولكن الذي متأكد منه، أن ذلك حدث في خشم القربة وأنا في المدرسة المتوسطة، وحدث بالضبط وبالدقة بعدما قرأت المجموعة القصصية الكاملة للشاعر الأميركي والقاص (إدجار ألان بو).. (ترجمة خالدة سعيد)، سرقتها من قطية أخي الأكبر فريد، وعرفت فيما بعد أنها كانت تخص صديقه محمد ملك، ذات صباح باكر في يوم مطير يستحيل أن أتذكرها الآن.

- إذاً كان للمناخ تأثير دفعك لمحاولة الكتابة؟

طعم النصوص ما زال في مخيلتي، (قصص الرعب والخوف)، تلك هي الفترة التي كتبت فيها روايتي الأولى الموسومة بـ(تحت النهر) وهي رواية قصيرة طفولية، أعجب بها أستاذ اللغة العربية سعيد أبو بكر وجعلني أقرأها لطلاب المدرسة كلهم فصلاً.. فصلاً، كنت حينها خجولاً، وممتناً، وتلعب عفاريت المتعة في مخيلتي.

- لنتحدث الآن عن الأعمال التي قدمت بركة ساكن للمشهد الإبداعي؟

البدايات الناضجة نشرت باكورتها في مجلة الناقد، التي كانت تصدر في لندن، رئيس تحريرها نوري الجراح، ذلك في عام 1989، وهي مجموعتي (على هامش الأرصفة) صدرت أول مرة في 2005 عن طريق الخرطوم عاصمة للثقافة العربية وصادرتها وزارة الثقافة في نفس العام، وقبلها كنت قد فرغت من كتابة روايتين هما (الطواحين) و(زوج امرأة الرصاص وابنته الجميلة)، وهناك رواية لم تنشر بعنوان (الفقاقيع) في سنوات دراستي الجامعية بجمهورية مصر العربية، وكانت أعمالي الأولى تجريب شرس على طرائق كتابة حديثة، وروح شابة للتجديد والعمل في اكتشاف آفاق أرحب في السرد وخاصة موقع الراوي والمكان.

- بركة ساكن لماذا تختار الآن الهجرة؟

لم أختر الهجرة، بل أجبرت عليها، وهي أيضاً ليست هجرة، بل هي منفى، ودفعت إليه دفعاً، لم يكن في يدي اختيار المكان أو الزمان أو كيف ولِمَ وبأية طريقة، وأنت أعلم وأعرف بحيثيات ذلك، فكان علي أن أنجو بحياتي، تماماً كما قال لي أستاذي عيسى الحلو في بيته بحي الجامعة الإسلامية (من مسؤولية الكاتب أن يحافظ على نفسه) وهذه الجملة تعني أبعد من الأكل والشرب والإنجاب، وهي أيضاً تذهب إلى أبعد من القبر بقليل.

- وما الفرق يا بركة بين المنفى والاغتراب؟

المغترب يحاول أن يعيش داخل ثقافة لا ينتمي إليها مما يجعله مضطراً لأن يأخذ وضع الحرباء؛ أن يتلوَّن بلون البيئة التي حوله ليحمي نفسه من الخطر، ولكن المنفى غير ذلك، فهو ينكمش على ذاته، وينكفئ على آلامه

وجراحاته، ويبني عشاً سميكاً من الذكريات والحزن، وهذا يحميه من كل شيء إلا من شر الوسواس الخناس، وهو بذلك ليس أشبه بالحرباء، ولكن أشبه بنفسه هو بالذات.

- ترى كيف يكون بركة ساكن بعد 10 سنوات قادمات؟

أعمل على عملين، بدأت الأول منهما قبل عام، والآخر هنا، ربما يريا النور خلال السنتين القادمتين، أعمل على نشر كتبي المترجمة للإنجليزية والفرنسية والألمانية، ومحاولة البحث عن نوافذ ترجمة للأعمال التي لم تترجم بعد، أحاول أن أستفيد من منفاي بالنمسا، في علاقات أدبية وفنية واكتشاف عوالم أخرى بالتجربة والحياة اليومية في أوروبا، سأتفرغ تماماً للكتابة والقراءة، أي أحاول أن أعمل على مشروع حياتي، فما زلت في بداية كل شيء، الطريق طويل ويطول، والعمر قصير ويقصر، فأنا لا أفكر في عشر سنوات قادمة، ولكن خطتي للخمس سنوات القادمات إذا كان للعمر بقية، فهي حاسمة جداً وأفكر فيها رأسياً وليس أفقياً، وأتمنى عندما يأتي عام 2018 أن يكون الحال ليس هذا الحال، أقصد أفضل بكثير.

- يقال يا بركة إن (الجنقو) لم تعتمد على الفن، ولكن اعتمدت على المسكوت عنه؟

الذين يقولون ذلك عليهم بكتابته مع المبررات بأدوات نقدية وليس أدوات أخلاقية، وأتمنى ألا يكون الموضوع سوى قليل من الحسد الذي لا يضر كثيراً وهو مثل طرق الصائح يخيف ولا يؤذي وإلا فليكتبون، لأن الذين كتبوا قالوا غير ذلك، تحدثوا عن البنية الفنية للرواية، عن الزمان

والمكان ومواقع الراوي والحدث، وهناك نقاد عرب كثر كتبوا عنها، ولكن ألم يقل هؤلاء من قبل للطيب صالح عليك بالقراءة؟ وكيف أخذت هذه الرواية جائزة الطيب صالح: هل لأن الحكام يعتمدون على المسكوت عنه وليس الفن؟ وكم هي الروايات التي تتحدث في المسكوت عنه، إنهم جيل كامل من الكتاب، وعشرات الروايات. إذاً لم يكن لهذا العمل ما يميزه لماذا يسكت عنه كما سكت عن غيره؟.

- يقال أيضاً أنك قد استثمرت حادثة المنع الرقابي سياسياً وصحفياً لخلق ضجة أكبر من الرواية كعمل فني؟

أريد جريدة تؤكد أنني طلبت منها كتابة شيء عني، أو عن أعمالي، أو صحفياً قد طلبت منه إجراء حوار معي أو ناقداً رجوته أن يكتب عن أعمالي، كانت الصحافة وما زالت هي التي تبحث عني وتطاردني إلى الآن، وفي هذا المكان البعيد لم أنج من ملاحقتها، من تليفزيون وجرائد ومجلات وراديو وغيرها، إذاً هذه (اليقال) أيضاً خلفها ما خلفها من محاولة للتبخيس والتقليل من شأن الآخر، وبها من عفن الإقصاء الكثير، الذي أشم رائحته هنا في هذا المنفى الرحيم.

- يشاع أيضاً أنك أصبحت مواطناً نمساوياً يا بركة؟

أنا في المنفى ولستُ مغترباً.

- ألا تعتقد أستاذ بركة بأنك عندما تغادر السودان وتقيم في فيينا ستفقد مصادر إبداعك القومية؟

ربما جاوبت على هذا أيضاً سابقاً: 49 عاماً في السودان لا يمكن أن

يمحو أثرها الضاري ستة أشهر، ولا ست سنوات، فالوقت لم يحن بعد لتقييم هذه التجربة، والمستقبل سيجاوب على الكثير من الأسئلة، وسيضع أسئلة أكثر واقعية وجدة.

- هنالك اتهام بأن بركة يكتب لمتلقٍ غير سوداني بغرض الترجمة والدخول للعالمية؟

هذا لم يقرأني بحياد وموضوعية، وأقصد بهاتين الكلمتين دون غرض وقتي، ويعرف أنني أعمل جاهداً أن أكتب ما يمكن تسميته الرواية السودانية، وسأترك ذلك لحكم الزمن.

obeikandl.com